مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية
١٩١٣ ــ ١٩١٤

الدكتورة خيرية قاسمية

في ١٨ فبراير ١٩١٣ نشرت الاهرام مقالا لكاتب سوري (ع. ج) جاء فيه « .. انه اذا كان التواطؤ بين الاتحاديين والصهيونيين على أن ينـــال الاخيرون شيئا في سوريا وفلسطين ، فان كل شيء يعطى من هذا القبيل للصهيونيين سيكون ملغى بالمرة ، ... انهم اذا أرادوا أن ينالوا شيئا في جهات سوريا فيجب عليهم ان ينالوه برضا السوريين خاصة والعرب عامة والا فان العداوة بين السوريين ، بل بين العـــرب أجمع ، وبين الصهيونيين ستنشأ من الآن وستظهر بمظهر يقضي علـــى كل مصالح الصهيونييـــن وآمالهم ... » ويذكر (ع. ج.) الصهيونيين بأنهم « ... يجاورون العرب ويحيط بهم العرب ... واننا ندعو كتاب العرب الذين هم على رأينا والذيـــن هم يمثلون القسم المتنور من العرب أن يكتبوا في هذا الموضوع الخطير ، وينصحوا معنا الصهيونية بأن ولاء الجار القريب أولى من ولاء البعيد الغريب .. » . الاهرام في تعليقها الموجز تؤمن بأن السوريين لا يكرهون التفاهم « ... وانما الذي يؤلم بعضهم ان يتفق على ارضهم دون علمهم أو رأيهم ... والتفاهم لازم ضروري لخير الجميع وبالاموال التي يأتي بها الاسرائيليون وبالفنون والعلوم التي يحملونها الى سوريا نفع عظيم ... فلا يبقى الا أن يتفاهموا ليتحابوا أو يتفقوا .. » .

ما الذي دفع هذا الكاتب الى أن يتقدم بعرض التفاهم هذا . وهو لا شك كاتب له وزنه بين الفئات القومية السورية التي كانت تتجمع في القاهرة كنواة لحزب اللامركزية . وكانت القاهرة قد أصبحت مركزا للمهاجرين السوريين المثقفين الذين برزوا في الصحافة والوظائف المدنية واستطاعوا أن يمارسوا نشاطهم بعيدين عن السيطرة العثمانية من أجل المطالبة بحقوق العرب القومية داخل اطار الدولة العثمانية .

لو عدنا الى الوراء سنوات نجد أن العمل الصهيوني في فلسطين قد بدأ منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حين كانت أجزاء كثيرة من الدولة العثمانية قد أصبحت مطمعا للنفوذ الاوروبي ، وبدت الحـــركة الصهيونية وجها آخر مـــن الغزو الاوروبي للشرق ، وقد طورت على يد هرزل لتعمل من خلال المنظمة الصهيونية وأجهزتها المختلفة على تحويل هذا الجزء من الوطن العربي الى وطن قومي يهودي حسب المخطط الذي رسم في المؤتمر الصهيوني الاول في بال ١٨٩٧ . ولكن الحركة يئست من تحقيق برنامجها نتيجة صعوبات سياسية بالغة ، وفرضت الحكومة العثمانية القوانين المشددة بهدف منع استيطان اليهود المهاجرين في فلسطين . ومع ان القوانين لم تكن فعالة الا أنها كانت تعوق الهدف الصهيوني حتى لقد حول هرزل أنظاره عن فلسطين في آخر أيامه . ولكن تغير النظام السياسي في تركيا ١٩٠٨ واستلام حزب الاتحاد والترقي السلطة قد أعطى الحركة الصهيونية آمالا جديدة . اذ الى جانب مساهمة فئات مـــن اليهود العثمانيين واليهود المتسترين (الدونمة) بأحداث الانقلاب السياسي والعطف الذي أبداه الحكام